# مبادئ ومجالات الإصلاح

# عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931م-1954م

الدكتور رشيد مياد، جامعة المدية

**الملخص باللغة العربية:**

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تيار إصلاحي اجتماعي تربوي ركزت جهودها على الدفاع عن الشخصية الجزائروعروبتها وإسلامها والمحافظة على قيمتها الروحية والتاريخية،فتعددت ميادين الإصلاح عندها لتشمل عديد المجالات:

ففي المجال الديني أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأهمية القصوى التي تمثلها العقيدة في حياة الأفراد، مما جعلها تتخذها كانطلاقة لمشروعها التغييريوالإصلاحي.

وفي المجال الثقافي والاجتماعي عملت على مقاومة الأمية، وتربية وتعليم الناشئة والاهتمام بالطفولة ومحاربة الآفات الاجتماعيةواهتمام بالمرأة.

في المجال الاقتصادي:ومن مظاهر اهتمام جمعية العلماء بهذا الجانب، أقدمت على تأسيس العديد من الجمعيات المهنية،كجمعية التجار المسلمين التي أسستها الجمعية بقسنطينة، والجمعيةالاقتصادية،وذلك لتحقيق الاستقلالية الاقتصادية للشعب الجزائري.

أما عن المجال السياسي فبرغم أن القانون الأساسي للجمعية يؤكد أنها لا تخوض في الأمور السياسية إلا أنها خاضت في عديد القضايا السياسية، فقد عملت على مقاومة سياسة التجنس ومقاومة الإدماج وغيرها.

لقد كانت دعوة ابن باديس وجمعية العلماء صريحة في التخطيط لانتشال الأمة الجزائرية من الوضعية المزرية التي آلت إليها من جراء معاول الهدم الاستعمارية التي فرضت عليها، وكان ذلك بمثابة

الأرضية التي تشكلت عليها ملامح النضال السياسي والعسكري، الذي مارسه الجيل الذي فجر الثورة التحريرية الكبرى التي حررت الوطن والشعب من سجن الاستعمار الفرنسي البغيض.

**كلمات مفتاحية:**

The Association of Algerian Muslim Scholars (Ulama)- Illiteracy- Reconstruction/reformation- Independence- Fight- Algerian identity- Economic independence- Political issues.

**الملخصبالإنجليزية:**

The Association of Algerian Muslim Scholars **(Ulama)** is an educational ‹social and reformative movement .It focused on defending the Algerian identity and religion in addition to protecting the spiritual and historical values by using different ways to reach reconstruction in all domains.

The **Ulama** was aware about the importance of Islamfo the algerian society and in the individual s life mainly ‹hence Islam was the starting point of change.Concerning the cultural and social sides ‹The Ulama fought illiteracy and other social problems ‹besides it worked hard to educate children ‹took care of them and women .In the economic side ‹the association gave birth to professional associations for example Muslim 's Trade Association and the Economic Association in order to realize the economic independence for the algerian population .As far as the political side is concerned ‹the association worked on many political issues although it had no business on them for instance it rejected the “Algeria is a french country “belief .

The scholars of this association and their leader IbnBadis were doing their best to better up the Algerian society this lead to the appearance of political and military fight against the enemy ‹in return it lead too to the greatest revolution which regained our independence latter .

**المقدمة:**

تعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو كما يسميها الأستاذ محمد الهادي الحسني خير جمعية أخرجت للناس، من أبرز الجمعيات التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين ولعبت دورا كبير في الحفاظ على الشخصية الإسلامية الجزائرية، من خلال الأهداف والبرامج التي رسمتها

منذ تأسيسها سنة 1931م، إذ أن نشاطها كان على علاقة مباشرة بالواقع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي الذي كان يعيشه المواطن الجزائري؟فما هي مجالاتوميادين عملالجمعية وما هي أبرز القضايا التي اهتمت بها؟وإلى أي مدى نجحت في انتشال الشعب الجزائري من الواقع الذي كان يعيشه؟

**تأسيس الجمعية:**

برزت الجمعية إلى الوجود كحركة إسلامية ذات جذور اجتماعية قوية، وذلك في إطار الصحوة الإسلامية،وحركات التحرر العربية، فقد ظهرت في الوقت الذي تكاثر فيه الحديث عن اندماج الجزائر في فرنسا،والدعوة للتخلي عن الهوية الإسلامية، للحصول على الجنسية الفرنسية[1]، حيث جاء المرجع فيها العودة إلى نصوص الدين من كتاب الله، وصحيح السنة، وإجماع السلف.[2]

عشية الحرب العالمية الأولى غادر الجزائر جماعة من العلماء الشبان إلى تونس، والمغرب والحجاز ومصر، والشام،بغية الحصول على الثقافة العربية والإسلامية، حيث معاهد العلم الكبرى،بعد أن حوصرت منابع العلم الأصلية من طرف الإدارة الاستعمارية،وبعد عودتهم إلى الجزائر عملوا على نشر الجرائد المختصة في تناول نهضة الجزائر الثقافية، وهذا ما جعلها تتطرق للقضايا السياسية، من منطلق دعوتها إلى الإصلاح الديني وتحقيق الوحدة الإسلامية والعربية.[3]

وكنتيجة للشعور بضرورة وحدة العلماء في أعمالهم –كما كان ذلك في مقاصدهم– فقد ظهر سنة 1924م،تنظيم يسمى" الإخاء العلمي "،والذي كان يهدف إلى توحيد صفوف العلماء المسلمين الجزائريين[4]، على أن الهدف الأسمى لمجموع العلماء،كان إنشاء جمعية إسلامية تقوم بمهمة إعادة بعث التراث العربي الإسلامي في الجزائر، والدعوة إلى التمسك به،ولعب الشيخ عبد الحميد بن باديس[5]، دورا بارزا في الترويج لهذه الفكرة التي تجسدت بالفعل في 05 ماي 1931م[6]، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي عن ميلاد الجمعية ما يلي :" تكوّنت في شكلها القانوني أواسط عام 1931ميلادية، وكأن الله جعلها تنقيصا للاستعمار، فقد كان نشوان بخمرة الفرح لمرور مائة سنة على استقراره في الجزائر، وقد قضى السنة التي قبلها في مهرجانات صاخبة دعا إليها العالم، فما لبى

إلا قليل، فما دخلت السنة الثانية حتى فوجئ بتكوين جمعية العلماء، في غمرة من ابتهاج الأمة بهذا المولود الجديد .."[7].

وقد ضمت 72 عالما جاءوا من مختلف أنحاء القطر، ومن مختلف الاتجاهات الدينية،حيث تم الاجتماع بنادي الترقي،وانتخب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا للجمعية في غيابه، وفي هذا الصدد يقول بن باديس :" ... لكنكم بتواضعكم وسلامة صدوركم، وسمو أنظاركم، جئتم بخلاف اعتقادي في الأمرين، فانتخبتموني وأنا غائب"[8] كما انتخب الشيخ البشير الإبراهيمي[9]، نائبا للرئيس، بالإضافة إلى نخبة من رجال الإصلاح، أمثال الأمين العمودي (أمينا عاما)، الطيب العقبي (الأمين العام المساعد)، والشيخ مبارك الميلي (أمين المال)، والشيخ إبراهيم بيوض (نائب أمين المال).[10]

– **أهداف الجمعية ومبادئها:**

لقد أعلنت الجمعية في بيان تكوينها أنها جمعية ثقافية[11]، وغير مهتمة بالشؤون السياسية، وهذا ما نلحظه عند تصفحنا للقانون الأساسي للجمعية[12]، وهو الشيء الذي يجعلنا ندرك عمق الفهم الذي كان عليه مؤسسوها الأوائل، وحسن تقديرهم، ومعرفتهم لحقيقة وغاية الإدارة الاستعمارية، فلقد أصرت الجمعية من أول يوم على أن تنأى بنفسها عن السياسة مع الإدارة الفرنسية،وأن تنصرف إلى تربية الشعب الجزائري فقد كان زعماء الجمعية يرددون أن مهامها العمل على إصلاح المجتمع وتقويمه في إطار ديني اجتماعي، أما السياسة فهي من غير اختصاصها –على حد تعبير الرئيس الثاني للجمعية " الشيخ البشير الإبراهيمي "– في مقال نشرته صحيفة البصائر، ونشره عبد الرحمن بن العقون[13]، ومما جاء فيه : " لجمعية العلماء أعمال ومواقف، ولها أعمال في الميدان الديني، لا يتطرق إليها التبديل والتغيير، لأن المرجع فيها نصوص الدين، ولها أعمال في ميدان التعليم العربي، ولا يعتريها الفتور ولا النكوص ولا التراجع، ولها في الحياة السياسية والاجتماعية للأمة الجزائرية آراء، محصتها التجربة، وأيدها المنطق، ومواقف لم تراع فيها إلا المصلحة المحققة أو الراجحة، ولم تبال في مواقفها بمن طار وبمن وقع، ولجمعية العلماء أضداد وخصوم، ومن أعداء الجمعية الاستعمار وأنصاره وصنائعه، ومن خصومها تلاميذ الأقسام الابتدائية في السياسية، من

أفراد، وأحزاب يضادونها كلما جروا من الأهواء فلم توافقهم، وكلما أرادوا احتكار الزعامة فلم تسمح لهم ".

وهذا ما نلمسه بوضوح في قانونها الأساسي الخاص، والتي اتسمت بالمهادنة، لذلك وافقت إدارة ميرانت (MIRANTE)، مسؤول الشؤون الأهلية، على طلبها بعد خمسة عشر يوم فقط من تقديمها.[14]

ولعل أهم تعبير عن أهداف الجمعية ومبادئها، ما جاء على لسان الشيخ عبد الحميد بن باديس وأوردته مجلة الشهاب سنة 1937م حين قال:"العروبة، والإسلام، والعلم، والفضيلة،هذه أركان لقضيتنا، وأركان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا، ورمز نهضتنا، فما زالت هذه الجمعية كما كانت تفقهنا في الدين، وتنيرنا بالعلم، وتخلقنا بالأخلاق الإسلامية العالية والفضيلة، وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا، وتربطنا بوطنيتنا العربية الإسلامية ...".[15]

كما لخص الشيخ البشير الإبراهيمي أهداف الجمعية بقوله:" إنّ جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، وتطالب باستقلال قضائه،وتطالب بحرية التعليم، تدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن ."[16]

**أما عن مبادئها فتتمثل في[17]**:

- إحياء الدين الإسلامي، وتطهيره من الشوائب التي علقت به.
- تطوير الثقافة العربية الإسلامية.
- توحيد أبناء الشعب الجزائري تحت راية العروبة والإسلام.
- توعية الشباب الجزائري بالشخصية الجزائرية، وتهيئته للنضال في المستقبل.
- إقامة جسور للتعاون بين الجزائر والدول العربية الإسلامية.
- الدعوة إلى توحيد العمل المشترك مع أبناء تونس والمغرب.
- نشر تعليم عربي مستوحى من الوحدة العربية الإسلامية.

1- **مجالات عمل الجمعية:** من أجل تحقيق الأهداف التي رسمتها الجمعية لنفسها وضعت برنامجا، ومنهاج عمل يعتمد على مجموعة من الأسس، لخصها الأستاذ أحمد مريوش في النقاط التالية:

- الاعتماد على القران الكريم والسنة النبوية المطهرة والسلف الصالح، وتلك هي المرجعيات الأساسية في سياسة الإصلاح الذي تبنته الجمعية.
- مخاطبة العقل، والدعوة للحداثة، ومحاربة الجمود، والتصدي للطرقية، والخرافات والبدعة التي عششت في عقلية الجزائريين .
- الاعتماد على المرحلية في النهج الإصلاحي، وكذا التعايش مع الطرف الآخر، بغرض تثمين الذات الوطنية واستعادة ما استلب منها، ونبذ الخلاف لرسم معالم التوجه الجديد.
- توظيف الكيف لضمان الاستمرارية في الحقل البنائي لحركية المجتمع المعاصر(18).

وفي العموم فقد اتخذت الجمعية شعارا لها:" الجزائر وطننا، العربية لغتنا، الإسلام ديننا " وهي تشكّل المحاور الكبرى لبرنامج عملها والقضايا التي اهتمت بها، المنبثقة أساسا من واقع المجتمع الجزائري، في ظل الاستعمار الفرنسي وسياساته المنتهجة في جميع المجالات، ويمكن تلخيصها هذه كما يلي:

**أ–المجال الديني:**

إدراكا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للأهمية القصوى التي تمثلها العقيدة في حياة الأفراد، جعلها تتخذها كانطلاقة لمشروعها التغييريوالإصلاحي وتركز معظم أعمالها عليها، لتحقق بها الإصلاح الفعال الذي يقوم على أولوية البناء الداخلي الذي يتوقف صلاحه على صلاح العقيدة التي تملأه، ويتمثل المنهج الذي اعتمدته الجمعية في تغيير نفس الإنسان الجزائري بتخليصه من ركام الأفكار والتصورات الخاطئة التي تدفعه إلى الركود والانحراف كما يلي:

1- **تطهير الإسلام مما علق به من الشركياتوالبدع والخرافات**: إن الإصلاح ينبغي أن يبدأ من الدين بتنقيته من الخرافات والبدع التي طمست على عقول المسلمين، وكانت سببا في تأخرهم،

لقد كان الجزائريون زمن الجمعية يعتقدون اعتقادات فاسدة كالتبرك بأضرحة الأولياء ، والاعتقاد في قدراتهموأدّعاء قدسية شيوخ الطرق والرقص والتهتك في الاحتفالات المبتدعة، واختراع أذّكارا محرّفة، وقربات مخالفة للكتاب والسنة ، بلغت بهم إلى درجة الوثنية التي وصفها المبارك الميلي بالجاهلية الحاضرة ، بعد جاهلية عصر الوحي، بل انه ذهب إلى أبعد من ذلك في الوصف فقال:" انه لا فرق بينهما في الجهل بما ينافي التوحيد ولا في الابتلاء بالمبتدعين والدجالين، ولا في التبرك بالآثار احتماءا من الأقدار، ولا في التقرب من الأحجار والنفور من المرشدين والأخيار، ولا في عصيان من خلقهم وعبادة ما نحتوه، ولا في افتراق الكلمة والانقسام إلى شيع متعادية."(19)

لقد أدركت الجمعية خطورة الوضع الذي بلغه المجتمع الجزائري من جراء الانحرافات الكثيرة التي نسبت إلى الدين، وتركت آثارا سيئة للغاية في المجتمع الجزائري، فكانت الدعوة إلى العودة إلى الإسلام الصحيح المستمدّ من القران الكريم والسنة المطهرة.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ألف الشيخ مبارك الميلي كتاب " رسالة الشرك ومظاهره"، كما تولى الإمام ابن باديس تأليف كتاب "العقائد الإسلامية "، وقد جاء في أصول هذه الدعوة ما نصه :"فكل شرك في الاعتقاد أو في القول ، أو في العمل فهو باطل، بناء القباب على القبور، وقد سرج عليها، والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بأهلها ضلال في أعمال الجاهلية"(20)، والإصلاح هنا لم يكن بتعليم عقيدة جديدة إنما بتطهير ما هو كائن، وتجديد فعاليته في المجتمع كما يقول مالك بن نبي :" أن المشكلة لا تكمن في تعليم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي."(21)

### 2- محاربة الزوايا والطرقية المنحرفة:

قاومت الجمعية الطرقية الضالة التي كانت أداة طيعة للاستعمار، خصوصا أن المخططين لها من كبار فلاسفة الاستعماروفكريه، هذا ما جعلهم يطلقون شعارات باطلة منها " من لم يكن له شيخ، فشيخه الشيطان" الأمر الذي جعل العلماء المصلحين يشرحون للرأي العام زيف الترهات والأباطيل

المنافية للإسلام، ويكشفون للناس تواطؤ بعض أولئك الرؤساء والشيوخ،مع حكام الاستعمار، أعداء الإسلام وخصوم كل نهضة ويقظة وتقدم.[22]

وكان رد ابن باديس والإبراهيمي: " أن هذا البلاء المنصّب على الشعب المسكين، آت من جهتين متعاونتين عليه ... استعمار مادي، وهو الاستعمار الفرنسي، واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب أو المتاجرون باسم الدين، والمتعاونون مع الاستعمار عنرضّى وطواعية.[23]

وتحت عنوان لماذا حاربت الشهاب الطرقية ؟ علق ابن باديس " حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها —علم الله — من بلاء على الأمة من الداخل والخارج، فعملنا على كشفها، وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ..."[24]، ورغم أن هذه الحرب لم ترق للطرقيين، إلا أن الكثير رحبوا بها أمثال مالك بن نبي الذي أيد الجمعية في هذا الجانب.[25]

## 3– محاربة حركة التبشير المسيحي:

يعد التبشير سبيلا للسيطرة السياسية والروحية ، لذا حاولت فرنسا القضاء على كل ما ليس نصرانيا ، لإظهار النصرانية في مظهر الديانة الإنسانية، وهذا ما يعلل تحاملها على الدين الإسلامي، الذي تعتبره خطرا عليها ، لذلك على إتباع كل السبل للحدّ من انتشاره، وكانت الجمعية تنظر إلى التبشير على انه :"نتيجة من نتائج التعصب المسيحي المسلح، ومولود من مواليد القوة الطاغية التي تسمي كل ما ترضى عنه من الأعمال المنكرة حرية الدين أو حرية الفكر، وانه أداة من أدوات السياسة في ثوب ديني، وشكل كهنوتي دفعته أولا ليكون رائدها في الفتح وقائدها في الاستعمار.[26]

وكانت الجمعية ترى انه من المعقول أن يثمر التبشير في بلد كالجزائر لتوفر الظروف المواتية لذلك فعملت الجمعية على القضاء على هذه الحركة ومقاومتها عن طريق المحاضرات والدروس العامة، ومن خلال تعليمها للشعب الجزائري قيمة دينهم وضرورة التمسك به وبأنه جزء مهم في هويتهم وشخصيتهم التي لا تقوم إلا على المبادئ التي تنادي بها الجمعية ( الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ،

والجزائر وطننا )ونجحت في ذلك إلى حد بعيد، فلم تتمكن الحركة التبشيرية من تحقيق مرادها أمام تصلب الجزائري في دينه مهما بلغت به العامية والأمية والفقر.[27]

### 4- المطالبة بفصل الدين عن الدولة:

أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأنه لا يمكن المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية طالما أن مساجد المسلمين وأوقافهم تستغلها الحكومة الفرنسية، فكانت المطالبة بتطبيق قانون فصل الدين على الدولة .[28]

وقد بينت الجمعية مقاصدها من خلال تقديمها لتقرير يتعلق بالشؤون الدينية، جاءبعبارة: نحن باسم الدين وباسم الأمة نتمسك بفصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية،نريد تطبيقه على الكيفية الآتية:

- فصل الدين الإسلامي عن الحكومة فصلا حقيقيا، بحيث لا يتدخل في شيء من شؤونه لا ظاهرا ولا باطنا، لا في أصوله، ولا في فروعه.
- تسليم ذلك كله إلى أيدي الأمة الإسلامية صاحبة الحق المطلق فيه، وتعزيز سلطتهم على أمور دينهم تقريرا فعليا خالصا لا التواء فيه.[29]

### ب- المجال الثقافيوالاجتماعي:

يمكننا اختصار الدور الثقافي والاجتماعي الذي قامت به الجمعية، من اجل إخراج الشعب الجزائري من الوضعية التي كان يعيش فيها في النقاط التالية:

#### - مقاومة الأمية، وتربية وتعليم الناشئة:

أدركت الجمعية أن التعليم هو السبيل إلى التحرر، فالأمة الجاهلة لا يمكنها الحصول على الاستقلال ولا المحافظة عليه، ولأجل ذلك انطلقت الجمعية في نشر التعليم، في سبيل الوصول إلى القضاء على الجهل، ونشر الوعي الصحيح، من خلال تأسيس المدارس العربية الحرّة التي فاق مجموعها حسب

الشيخ البشير الإبراهيمي 140 مدرسة، احتضنت نحو 50.000 تلميذ من الذكور والبنات، وبلغ مجموع معلّميها نحو 400 معلّم.(30)

-نشر الوعي الديني والاجتماعي، والثقافة، في أوساط الشبيبة والعمال وعامة الناس، بواسطة الجرائد والمجلاّت، وتنشيط مئات الجمعيات العلمية والخيرية والدينية والرياضية، وعشرات النوادي.

- **محاربة الآفات الاجتماعية**:كمعاقرة الخمو، وتعاطي المخدّرات، ولعب القمار،و غيرها...

– **الاهتمام بالطفولة**: فقد حاول دعاة الإصلاح من رجال الجمعية الإلمام بما هو يخص المجتمع واهتموا بالطفولة والأرامل والأيتام ولذلك حاولوا أن يؤسسوا هذه الجمعية التي تهتم برعاية الأطفال والجمعيات الخيرية لإنقاذ الطفولة والنشء من التشرد والضياع لأن الإسلام قد أعطى أهمية بالغة لهذه الشريحة من المجتمع وشد على الاهتمام بها(31) .

– **الاهتمام بالمرأة**:من خلال التوعية المسجدية، والتعليم الذي شمل في سنة 1952م، نحو 13.000 بنت في مدارس الجمعية(32)، فقد كانت المرأة المسلمة في الجزائر قبل ظهور الحركة الإصلاحية تعاني الجمود والركود والجهل والحرمان، بسبب العادات والتقاليد الفاسدة ، والفهم الخاطئ للدين الإسلامي، وتشير الجمعية إلى الدور المهم الذي تلعبه المرأة في الأمة الواحدة، فترى "أن الأمة كالطائرة لا تطير إلا بجناحين وجناحاها هما الرجل والمرأة، لا يمكن أن تطير إلا بهما، ومن ثم فإن الأمة التي تقصر التعليم على الرجل دون المرأة، ستكون نهايتها السقوط لا محالا."(33)

### ج– المجالالاقتصادي:

إذا كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قد ركزت عملها على الجانب الثقافيوالاجتماعي، فليس معناه أنها كانت بعيدة عن واقعه الاقتصادي، فقد طالبت السلطات الاستعمارية بتحقيق العدالة من حيث الأجر، ووقت العمل بين الجزائريين والفرنسيين أثناء العمل، بالإضافة إلى إلغاء كل القوانين التي تعيق المواطن الجزائري من أجل خدمة أرض، وتجسدت هذه المطالب في:

- تساوي الأجور إذا تساوى العمل.

- تساوي الرتبة إذا تساوى الكفاءة.
- توزيع إعانات الميزانية الجزائرية للفلاحة، صناعة، تجارة.
- السماح بتكوين جمعيات تعاونية فلاحية، ومراكز التعليم الفلاحي.
- الإقلاع عن انتزاع ملكية الأرض من الجزائريين
- توزيع أراضي البور الشاسعة على صغار الفلاحين وعمال الفلاحة.
- المطالبة بإلغاء قانون الغابات.[(34)]

ومن مظاهر اهتمام جمعية العلماء بهذا الجانب، أقدمت على تأسيس العديد من الجمعيات المهنية،كجمعية التجار المسلمين التي أسستها الجمعية بقسنطينة، والجمعيةالاقتصادية، وذلك لتحقيق الاستقلالية الاقتصادية للشعب الجزائري، وإنعاش مصادر رزقه وعيشه، حتى لا يحتاج لفرنسا،وذلك أنها –أي فرنسا –كانت تستغل الفقر لابتزاز الشعب،ومعظم التجار كانوا من اليهود.[(35)]

- **محاولة تأسيس البنك الإسلامي الجزائري:**

كانت هناك محاولات لتأسيس هذا البنك من طرف كبار تجار العاصمة من بينهم السيد محمد عباس التركي، حيث دخلت جماعته في مفاوضات مع السلطة الفرنسية،من أجل الحصول على الاعتماد لهذه المؤسسة المالية، لكن السلطات الاستعمارية عارضت فكرة المشروع، ورفضت بشدة معتبرة إياه شيء يميز الهوية الإسلامية، وهي لا تريد بأي شكل من الأشكال للمظاهر الإسلامية أن تظهر.[(36)]

- **جمعية الزكاة** :اجتهد العلماء في إعادة الاعتبار لممارسة الزكاة المنتظمة التي طالما أهملها الجزائريون[(37)]، وهذا أملا في أن يستفاد منها لتحسين الاقتصاد العام في الجزائر، حيث تمكنت الجمعية من جمع أموال طائلة، من أموال الزكاة ، أنفقتها في وجوهها الشرعية، لكن تماطل بعض من يملك أموال الزكاة في دفعها، ورؤيتهم على أن كل واحد يدفعها بنفسه أدى إلى تعطل المشروع[(38)]، إن دعوة العلماء من اجل أداء الزكاة في حينها تهدف إلى ترقية التضامن الاجتماعي

والاقتصادي في صلب الأمة، حيث كان التضامن بالنسبة لهم أمرا مستعجلا، لاسيما وأن النظام الاستعماري لم يكن يظهر كبير عناية للتحرر الاقتصادي للشعب الجزائري.[39]

في سنة 1936م برزت الجمعية ككتلة سياسية متماسكة، بعدما شاركت في المؤتمر الإسلامي، وهو أول مؤتمر يحاول أن يخرج بكلمة وطنية موحدة، يواجه بها حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا، وألقى فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس خطابا، أكد فيه مبادئ الجمعية، مع ضرورة إعطاء حقوق الجزائريين[40]، وبانعقاد المؤتمر الإسلامي[41]، يوم 07 جوان 1937م في الجزائر، والذي تزعمته جمعية العلماء، باقتراح من رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس[42]، حيث رأى أنه " انجاز أكثر واقعية، وأكثر عملية للاتحاد والتنظيم المنشودين "، وقد لخص مطالب المؤتمر في وثيقة، أعطى لها عنوان " الميثاق المطلبي للشعب الجزائري المسلم".[43]

لقد اظهر المؤتمر الجمعية بمثابة قوة معنوية وسياسية هامة في الساحة الوطنية،فمن خلال خطبهم ومشاركتهم الفعالة في لجنته التنفيذية، ووفده الذي سافر إلى باريس، اعتبروا الممثل الأكثر أهلية للأمة الجزائرية، فقد أظهر المؤتمر الجمعية كأنها الممثل الشرعي والشعبي والمؤسساتي الوحيد التي تتكلم باسم الأمة الجزائرية، وتمثل جميع مطالبها الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

رغم كل ما سبق نجد أن علي مراد يؤكد أن المذهب الإصلاحي الجزائري لم يول العناية اللازمة لمشاكل الاقتصاد العينية للأوجه المختلفة لاستثمار رؤوس الأموال، فلم يتمكن ابن باديسوأصحابه، إما بدافع الحذر، أو لانعدام مذهب مبلور كما ينبغي في هذا المجال من إرضاء أتباعهم الأوفياء، ويؤكد أن الإصلاحيين لم يكونوا ميالين للجانب الاقتصادي، ذلك أن النزعة الأخلاقية كانت تطغى عليهم[44]، لكن في المقابل كانوا يشجعون المبادرات الفردية في هذا الجانب، ويدعمونها.[45]

**د- المجال السياسي**:رغم أن القانون الأساسي للجمعية يؤكد أنها لا تخوض في الأمور السياسية، كما ذكرنا سابقا، إلا أن هذا لا يعني أنه ليس لها موقف أو وجهات نظر في هذا الجانب، بدليل :

- **مقاومة سياسة التجنس:**

يحدثنا الشيخ البشير الإبراهيمي عن حرب جمعية العلماء، بقيادة ابن باديس لسياسة التجنيس والاندماج، وكيف واصلت هذه الحرب حتى قضت عليها، فيقول[46] :" حاربت جمعية العلماء، سياسة الإدماج في جميع مظاهرها، فقاومت التجنيس، ونازلت أنصاره الحمس، ودعاته المقاويل، حتى قهرتهم، وأخرستهم، وقطعت عليهم الحبل في أيديهم، ثم أفتت فتواها الجريئة فيه[47]، يوم كانت الجرأة في مثل هذه المسائل بابا من العذاب، فكان ذلك منها تحديا للاستعمار، وإبطالا لكيده، وتعطيلا لسحره، وأثبتت بتلك المواقف للجزائر إسلاميتها ."

- **مقاومةالإدماج:**

جعل الشيخ ابن باديس من دروسه ومقلاته في جرائد الجمعية، وسائل لمحاربة الفرنسة والاندماج، وقد عبر عن رفضه لسياسة الإدماج في جريدة الشهاب، بقوله[48]:إنّ هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج، ولها وطنٌ محدود معيّن هو الوطن الجزائري ..."

كما نددت الجمعية بالحكم الاستعماري وممارساته الظالمة، بالإضافة إلى المطالبة بحق الجزائريين كافّة في الانتخاب، كما كانت تسعى لتحقيق الوحدتين العربية والإسلامية، وتبني قضاياهم وفي مقدمتها قضية فلسطين[49]، كما تجاوزت الجمعية كل هذه المطالب، والرفع من سقفها بالمطالبة بالاستقلال، ولو بطريقة غير مباشرة، حيث صرّح بذلك ابن باديس سنة 1936م، أمام جمع من الأنصار قائلا : " وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف ؟ وما غايتنا من عملنا إلاّ تحقيق الاستقلال."[50] ، لكن للأسف نجد من يشكك في هذه الحقيقة، أو ينكرها من المناهضين للجمعية وفكرها .

لقد كانت دعوة ابن باديس صريحة في التخطيط لانتشال الأمة الجزائرية من الوضعية المزرية التي آلت إليها من جراء معاول الهدم الاستعمارية التي فرضت عليها،فنجد في جريدة الشهاب نصائح يعطيها

الشيخ للجزائريين، وهي نصائح متعددة الأهداف تسعى لترقية الأمة الجزائرية،ما أحوجنا للعمل بها في وقتنا الحالي(51).

**2-الوسائل التي استعانت بها الجمعية لتحقيق أهدافها: يمكن** اختصارها فيمايلي:

- تأسيس المدارس والمساجد الحرّة، وإصدار الصحف والمجلات.
- بعث التاريخ الوطني لإبراز انتماء الجزائر العربي الإسلامي.
- تكوين الكشّافة (52)، والفرق الرياضية والمسرحية، وفتح النوادي.

اختلفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اختلافا كبيرا عن الحركات الأخرى، فهي لم تكن ثورية، ولا موالية للفرنسيين، بل كان علماؤها قبل كل شيء مصلحين وطنيين، فقد أعطوا الأولوية للتعليم العربي الإسلامي، وكانوا قد عارضوا بشدة دمج الجزائر في فرنسا، إذ أن برنامجهم كاننابعا من واقع المجتمع.(53)

**خاتمة:**

عملت الجمعية منذ تأسيسها على جميع الأصعدة وفي جميع المجالات وهذا في إطار دعوة إلى تحقيق إصلاحات شاملة، لم تصل إلى درجة المطالبة بالاستقلال، رغم أن الجمعية بنيت على مبادئ حساسة تهم كل الجزائريين، ومجمل القول، أن الجمعية لعبت دورا بارزا في تاريخ الجزائر،حيث أسهمت في يقظة الجزائريين وتنوير فكرهم وتحريره من البدع والخرافات ونجحت في تكوين جيل متمسك بعروبته وإسلامه، استطاع أن يعطي لمفاهيم العروبة والإسلام عمقا أمكن بواسطته الدفاع عن الهوية الوطنية، وكان من نتيجة ذلك أن هذا الجيل انصهر فيما بعد في حركة التحرر الوطني التي قامت في سنة 1954م ، بفعل وصول الحركة السياسية إلى قمة نضجها .

---

**الهوامش:**

1- عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، ط2،2005، ص ص 244-245.

2- محمد البشير الإبراهيمي،**عيون البصائر 02**، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر، د.ت.، ص 323.

3- الجيلالي صاري ومحفوظ قداش، **الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية 1900-1954، الطريق الإصلاحي والثورة،** ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص24.

4- رابح تركي، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية بين 1931-1956** .الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. 1981،ص39.

5- ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1889م، في قسنطينة، درس العلوم الإسلامية على يد الشيخ حمدان لونيسي، واصل تعليمه في تونس، حيث حصل على شهادة التحصيل، ثم عاد إلى قسنطينة وبدأ برنامجا للتعليم في جامع سيدي لخضر، كما حدد برنامج عمله السياسي منذ البداية، وهو الدفاع عن اللغة العربية وبعث نهضة إسلامية في الجزائر، ومن ثمة قام بتوظيف رجال الإصلاح وتحفيزهم للعمل السياسي ووصولهم إلى تأسيس جمعية العلماء سنة 1931 م، للمزيد انظر : بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1989، ج1**، دار المعرفة، 2006،ص 399 وما بعدها

6- أحمد الخطيب،**جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985. ص ص101-102

7- محمد البشير الإبراهيمي،**آثار الإمام البشير الإبراهيمي (1954-1956)**، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997، ج 4، ص ص164-165

8- محمد البشير الإبراهيمي،" **أنا** "، مجلة الثقافة ،العدد 87، ماي / جوان 1985، ص 23

9- ولد الشيخ البشير الإبراهيمي بسطيف سنة 1889م، مارس تعليمه الابتدائي في زاوية شلاطة، وفي سنة 1912م هاجر إلى الحجاز، تعرف على الشيخ ابن باديس في المدينة المنورة، فاكتشف أنه يشترك معه في هموم وطنه الجزائر الذي ابتلي بالاستعمار الفرنسي، فوضعا هناك لبنة تأسيس الجمعية، في سنة 1917م شد الرحال إلى دمشق، وأصبح يلقي الدروس في الجامع الأموي، عاد إلى أرض الوطن سنة 1920م وللمزيد أنظر : بلاح، **مرجع سابق**، ص 411، وما بعدها .

10- بوحوش، المرجع**السابق**، ص 251.

**11- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين،قسنطينة، 1937**

12- هذا القانون مقسم إلى 05 أقسام و23 فصل، حدّد في القسم الأول اسم الجمعية ومقرها، أما القسم الثاني فحدّدت مقاصد هذه الجمعية وغاياتهاوأهدافها، والقسم الثالث تطرق إلى أعضاء الجمعية، والقسم الرابع تطرق إلى المالية وكيفية إدارتها، أما القسم الأخير فوضّح فيه الاجتماعات الإداريةوالعامة، وكيفية تسييرها.

13- عبد الرحمان بن العقون،**الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**، ج2،*المؤسسة* الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984، ص376.

14- الخطيب، المرجع**السابق**، ص 98.

15- جريدة الشهاب، مجلد 13، سنة 1937م، ص 20.

16- الإبراهيمي،**آثار البشير الإبراهيمي،عيون البصائر**، ج2، ص 12

17- بوحوش، **المرجعالسابق**، ص264.

18 - احمد مريوش، محاضرات **في تاريخ الجزائر 1900-1954**، ج2، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2013، ص 222.

19 - مبارك الميلي، رسالة**الشركومظاهره**، دار الغرب الإسلامي، ط5، 2000، ص 109.

20 - **آثارالإمامابنباديس**، ج3، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والجزائر، ط1، 1991، ص155.

21 - مالك بن نبي، وجهة **العالمالإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دارالفكر، الجزائر، دمشق، ط5، 1986، ص 54.

22 - محمد الصالح رمضان، جمعية **العلماء ودورها العقائدي والاجتماعيوالثقافي**، مجلةالثقافة، عدد83، السنة الرابعة عشر، سبتمبر /أكتوبر 1984، ص 362.

23 - نصر الجويلي، **جمعية العلماء المسلمين بين الدين والسياسة**، المجلة التاريخية المغربية، السنة الخامسة عشرالعدد50/49، جوان 1988، تونس، ص 109.

24 - **نفسه**، ص. 110

25 - مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن**، دار الفكر، العادة الرابعة، ط2، 1427هـ-2004.

، ص 386

26 - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام "نادي الترقي "بالجزائر**، دار الكتاب الجزائر، ص72.

27 - **نفسه**، ص73.

28 - يتمثل هذا المطلب بالتحديد في :- تحرير المساجد برفع يد الحكومة عنها – تحرير الأوقاف الإسلامية بإرجاعها إلى المسلمين – تحرير رجال الدين الإسلامي من الحكومة المسيحية – تحرير القضاء الإسلامي برقع القيود عنه – تحرير الحج بعدم تدخل بعدم تدخل الحكومة في أي شأن من شؤونه – تحرير الصوم بإبعاد الحكومة عن شؤونه للمزيد أنظر : الإبراهيمي، **عيون البصائر**، ص46 .

29 - الخطيب، **المرجع السابق**، ص 173.

30- الإبراهيمي، **عيون البصائر**، ص 175.

31 - عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من حديث البشير النذير**، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، 1983، ص 10

32- الإبراهيمي، **عيون البصائر**، ص170.

33 - زبير بن رحال، **عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة العلمية والفكرية (1889-1940)**، دار الهدى، الجزائر، 1997، ص 63.

34 - رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، ط 5، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، 2001.ص 108.

35 - عبد الرشيد زروقة، **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)**، دار الشهاب، بيروت، ط1، 1999، ص 193.

36 - احمد توفيق المدني، **حياة كفاح (مذكرات)**، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 2009، ص 177.

37 - يرجع علي مراد أسباب التخلي النسبي عن الزكاة في الوسط الجزائري إلى الظروف الاقتصادية الخاصة بالأمة الإسلامية، فالضرائب المباشرة التي تثقل كاهل المسلمين الجزائريين، لم تترك لهم الوسائل التي بها يواجهون الفريضة الشرعية للزكاة، أنظر: علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي 1925–1940**، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمة، الجزائر 2007، ص 400 ؛ الشهاب، عدد جويلية سنة 1932

38 - المدني، **حياة كفاح، ج2**، ص 178.

39 - مراد، **المرجع السابق**، ص 369.

40 - Claud callot ،Jean Robert Henry ،**le mouvement national algérien** ، textes 1912-1954 ،2ème édition ،Alger ،**o** .**p** .**u** et l'harmattan ،Paris ،1981. P .64

41- صادق المؤتمر على عدة نقاط أهمها: -إلغاء جميع القوانين الاستثنائية – إبقاء قانون الأحوال الشخصية، بالإضافة إلى مطالب اجتماعية واقتصادية مثل التعليم الإجباري وبناء المدارس، وإنشاء تعاونيات زراعية ومراكز تثقيف الفلاح، وإلغاء القانون الغابي.

42- احمد الخطيب، **حزب الشعب الجزائري**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص195.

43- صاريوقداش، **المرجع السابق**، ص 30.

44 - مراد،**المرجع السابق**، ص 372.

45 - مقابلة شخصية مع عضو المكتب الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التهامي الماجوري بولاية المدية 03 جانفي 2015 على هامش تنصيب المكتب ألولائي للجمعية

46- تركي، **ابن باديس رائد الإصلاح**، ص438.

47- أنظر نص الفتوى:**جريدة البصائر**، عدد95، 1938/01/14، ص02.

48- **الشهاب**، مجلد 12، محرم 1355هـ/أفريل 1936، ص. 44

49- حول اهتمامات الجمعية بالقضية الفلسطينية، احمد مريوش، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، ج1، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2013، ص 274.

50- عمار طالبي، **ابن باديس، حياته وأثاره**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1983، ص89.

51 - **الشهاب**، العدد 49، الموافق ل أوت 1926

52- تشكّل أول فوج للكشافة الجزائرية بسعي من الشهيد محمد بوراس، وبوحي من الشيخ ابن باديس بالعاصمة عام 1935م، باسم فوج "الفلاح"، ثم توسعت في عام 1937م، لتغدو حركة كشفية وطنية، عقدت أول مؤتمر لها تحت شعار جمعية العلماء " الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا "، في يوليو 1939، برئاسة بوراس، الذي أعدمته فرنسا عام 1941م، بتهمة التحريض على الثورة.

53- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية 1930–1945**، الجزء3، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت، لبنان، 1992، ص406.